السنة الرابعة والعشرون

فيها أمر الشورى.

روى البخاريّ عن المِسور بن مَخْرمة أن الرَّهطَ الذين وَلّاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أُنافِسُكم هذا الأمر، ولكنكم إنْ شئتم اخترتُ لكم، فجعلوا ذلك له، فلما وَلَّوه أمرَهم انثال عليه الناس ومالوا إليه، حتى لا أرى أحداً من الناس يَتبع أولئك الرّهط ولا يَطأ عقبه، ومال الناس إلى عبد الرحمن يُشاورونَه ويُناجونه تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا بايَعْنا فيها عثمان.

قال المِسوَر: طرقني عبد الرحمن بعد هَجْعٍ من الليل، فضرب الباب حتى استيقظتُ، فقال: ألا أراك نائماً، فوالله ما اكتحلتُ في هذه الليلة بكثير نوم، فادعُ لي الزبير وسعداً، فدعوتُهما له، فشاوَرَهما، ثم قال: ادعُ لي عليّاً، فدعوتُه، فناجاه حتى ابْهَارَّ الليل، ثم قام من عنده وهو على طَمَع، وكان عبدُ الرحمن يَخشى من عليٍّ شيئاً، ثم قال: ادعُ لي عثمان، فدعوتُه، فناجاه حتى فَرَّق بينهما مؤذن الصّبح، فلما صلّى الناس الفجر اجتمع أولئك الرهط عند عبد الرحمن عند المنبر، فأرسل عبد الرحمن إلى مَن كان خارجاً من المهاجرين والأنصار، وإلى أُمراء الأجناد ـ وكانوا وافَوْا تلك الحجّة مع عمر ـ فلما اجتمعوا تشهّد عبد الرحمن وقال: أما بعد؛ فإني نَظرتُ في أمر الناس، فلم أرهم يَعدلون بعثمان أحداً، ثم أخذ بيده وقال: أُبايعك على سُنَّة رسول الله ﷺ والخَليفتين من بعده، وبايعه عبد الرحمن والناس. هذا لفظ البخاري[1].

قال الواقدي: لما استُخلف عثمان دخل عليٌّ على العباس، فقال له العباس: إني ما قَدَّمتُك إلا تأخَّرتَ، قلت لك: هذا الموتُ في وجه رسول الله ﷺ فتعال نَسأله عن هذا الأمر فأَبَيْت، ثم قال: أنت المنظور إليه، فقلتُ لك: تعال أُبايعك فلا يَختلف عليك اثنان فأبَيْت، ثم مات عمر بعد ذلك، قد أطلق الله يَديك، ليس لأحدٍ عليك بَيعة، ولا تَدخل في الشّورى فأَبَيْتَ عليّ، فقال علي: عسى أن يكون خيراً.

---

(١) في صحيحه (٧٢٠٧).

وكان العباس قد قال لعليٍّ يوم طُعن عمر: الزَمْ بيتَك، ولا تدخل في الشورى، فلا يَختلفُ عليك اثنان[١].

ولما أخذ عبد الرحمن ﷺ منهم المواثيق خلا بعليّ ﷺ وقال له: إنك تقول إنك أحقُّ بهذا الأمر لقَرابتك، وسابقتك، وحُسْنِ أثرك، ولم تبعد، ولكن أرأيتَ لو صُرِف هذا الأمرُ عنك ولم تَحْضُرْه، مَن كنتَ تَرى أحقّ به من هذا الرَّهط؟ فقال: عثمان.

ثم خلا بعثمان رضوان الله عليه وقال له: أنت تقول: إني شيخُ بني عبد مَناف، ولي سوابق، فلو صُرِف عنك هذا الأمرُ ولم تَحْضُر، مَن كنتَ ترى أحقّ به؟ قال: علي.

ثم خلا بالزبير ﷺ، فقال له مثلَ ذلك، فقال الزّبير: عثمان، ثم خلا بسعدٍ ﷺ، فقال له مثل ذلك، فقال: عثمان، ثم قال لعلي ﷺ: أَنشدك الله أن تكون ظَهيراً لعثمان[٢]، وكان طلحة ﷺ غائباً.

ثم شاور المهاجرين والأنصار، فكلٌّ أشار بعثمان، ثم قال للزبير: خلِّ نصيبَك لبني عبد مَناف، فقال: نَصيبي لعَليّ، فقال عبد الرحمن لسعد: أنا وأنت كَلالة، فاجعل نصيبَك لي فأَختار، فقال سعد: إن اخترتَ نَفسَك فنعم، وإن اخترتَ عثمان فعليٌّ أحبُّ إليّ، ثم قال له سعد: أيها الرجل، بايعْ نَفْسك وأرِحْنا، وارفع رؤوسَنا، فقال: والله لا يَقوم أحدٌ مقام أبي بكر وعمر فيَرضى الناسُ عنه. فقام سعد والزبير غَضْبى.

وجمع عبد الرحمن وُجوهَ الناس وقال: أشيروا عليّ، فقال له سعيد بن زيد ﷺ: إنا لنراك أهلاً لها، فقال: أشيروا عليّ بغير هذا، فقال عمّار بن ياسر: إن أردتَ ألا يَختلفَ عليك اثنان فبايعْ عَليّاً، فقال المقداد: صدق، إن بايعتَ عليّاً سَمِعنا وأطعنا، فقال عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: إن أردتَ أن لا يَختلفَ عليك اثنان من قُريش فبايعْ عثمان، فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق ابنُ أبي سَرْح، فشتم عمار ابنَ أبي سرح وقال: متى كنتَ ناصِحاً للمسلمين.

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١١٩ـ١٢٠ .

(٢) في الطبري ٤/ ٢٣١ أن علياً قال لسعد ﷺ: أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحم عمي حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً عَليَّ.

وتكلم بنو هاشم وبنو أُمية، فقال عمار: أيها الناس، أنّى تَصرفون هذا الأمرَ عن بيت نبيّكم؟ فقال رجل من بني مَخزوم: لقد عَدوتَ طَورَك يا ابن سُميَّة، وما أنتَ وتَأمير قريش؟! فبايع عبدُ الرحمن عثمانَ ﵄، فقام عليٌّ ﵁ وخرج مُغضباً، فتبعه عبد الرحمن فقال: بايع وإلا ضربتُ عُنقك، فبايَعَ.

وروي أن عبد الرحمن ﵁ رأى في المنام أن أمِّر أقرأَهم، فإن استَووا فأَفْقهُهم، فإن استَووا فأسنُّهم، فانتبه فقال: هل تَعلمون أحداً اجتمع فيه هذا غير عثمان، فبايعوه.

وجلس عبد الرحمن ﵁ على مِنبر رسول الله ﷺ، دون المكان الذي كان يَقعد فيه رسول الله ﷺ، ثم أقعد عثمان رضوان الله عليه على الدَّرجة الثانية وبايعه، فلما كان بعد ذلك صعد عثمان ﵁ فقعد مكان رسول الله ﷺ، فأعظم الناس ذلك، وكان أوَّلَ ما أُخذ عليه.

وقدم طلحة ﵁ في اليوم الرابع وقد بُويع عثمان ﵁، فقال له عثمان: أنت على رأس أَمرِك، إن أَبيتَ رَدَدْتُها، قال: أوَتَرُدُّها؟ قال: نعم، فبايعه طلحة ﵁، وكان في عهد عمر رضوان الله عليه: إن لم يَحضُر طلحة إلى ثلاثة أيام فأَمْضُوا الأمور[1].

(١) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ك).

الباب الثالث في ذكر عثمان رضي الله عنه

[هو عثمان] بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي رضي الله عنه، وكان يُكنى بأبي عمرو وبأبي عبد الله، وأمُّه أَروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مَناف، أسلمت أم عثمان، وأمُّها أمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب بن هاشم، عَمَّةُ رسول الله ﷺ فأمُّ عثمان بنتُ عمِّ رسول الله ﷺ.

ووُلد في السَّنة السادسة بعد الفيل[1]، قال سيف: وبويع لثلاثٍ مَضَينَ من المحرَّم سنة أربع وعشرين، فصلَّى بالناس العصر، وكان مُؤذِّنُ صُهَيب قد أَذَن[2].

وولي وهو ابن تسع وستين سنة، وهو أوّل خليفةٍ اختَلفوا عليه.

ولما بُويع خرج إلى الناس فخَطَبهم، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن أوَّلَ مَركَبٍ صَعبٌ، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أَعِش تأتِكم الخُطَب على وَجْهها، وما كُنّا خُطباء، وسيُعَلِّمنا الله تعالى[3].

ذكر صِفته:

قال الواقدي: كان عثمان [رجلاً] ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيضَ رَبْعَة ـ وقيل: أسمر اللون ـ رقيقَ البشرة، حسنَ الوَجْه، عَظيمَ الكَراديس، بعيدَ ما بين المنكِبَيْن، كثيرَ شعر الرأس، وكان يُصَفِّر لحيتَه.

وقال الحسين: رأيتُ عثمانَ وبوَجهه جُدَريٌّ، وشَعرُ يديه قد كسا ذراعيه.

وحكى أبو بكرٍ النقاشِ أنَّه كان وَضيئاً، أبيض مُشْرباً بصُفْرةٍ، حَسَنَ الثَّغْرِ، له جُمَّةٌ أسفلَ أُذنَيْه، خَدَلَّجَ الساقين.

وقال هشام: كان أَضْلَع، وأعداؤه يُسَمُّونه نَعْثَلاً. وقال الجوهري: ونَعْثَلٌ: رجلٌ

---

(١) من قوله: الباب الثالث... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٩، ومن قوله: وولي وهو ابن تسع وستين سنة... إلى هنا ليس في (ك).

طويل اللحيةِ، وكان عثمان إذا نيلَ منه شُبِّه بذلك الرجل لطولِ لحيته[١].

وكان عثمان يَشُدُّ أسنانَه بالذَّهب. قلتُ: وقد اختلف العلماءُ في شدِّ الأسنانِ بالذَّهب؛ فكره أبو حنيفة ذلك، قال في «الأصل»: إذا تحرَّك سِنُّ الرجلِ فشدَّه بالذهبِ، أو سقط سنُّه فاتَّخذَ سنّاً من ذهبٍ، أو كان مَقطوع الأنفِ فاتَّخذَ أنفاً من ذهب، يُكره عند أبي حنيفة، وقال محمد: لابأس به، وأبو يوسف مع أبي حنيفة في رواية، ومع محمد في روايةٍ.

واحتجَّ محمد بأنَّ عَرْفَجة بن أسعد أُصيبَ أنفُه يوم الكُلابِ، فاتَّخذ أنفاً من فِضَّةٍ فأنْتَن، فأمره النبي ﷺ أن يتَّخِذَ أنفاً من ذهب[٢]. وعثمان كان يشدُّ أسنانه بالذهب ولم يُنكر عليه أحدٌ[٣].

وكان نَقْشُ خاتَمه: آمن عثمان باللهِ العظيمِ.

ذِكرُ سبب إسلامه:

قد ذكرنا أنه أسلم قديماً قبل دخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي قال: خَرَج عثمان وطلحةُ بنُ عبيد الله على أَثَرِ الزّبير ابن العوام، فدخلا على رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلامَ، وقرأ عليهما القُرآن فأسلما[٤]، وقال عثمان: يا رسول الله، قدمتُ من الشام حديثاً، فلما كنّا بين مُعان والزَّرْقاء ونحن كالنيّام إذا مُنادٍ يُنادينا: أيُّها النُّوام هُبُّوا؛ فقد خرج أحمدُ بمكة، فقَدِمْنا فسَمِعنا بك[٥].

وحكى أبو بكر النقَّاش، عن عمرو بن عثمان بن عفان قال: حدَّثني أبي عن سبب إسلامه قال: كنتُ رجلاً مُسْتَهْتَراً بالنّساء، وإني لَقاعدٌ بفِناء الكعبةِ ذات ليلةٍ في رهطٍ

---

(١) الصحاح (نعثل).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٠٦)، وأبو داود (٤٢٣٢)، والترمذي (١٧٧٠)، وانظر شرح معاني الآثار ٤/ ٢٥٧، وبدائع الصنائع ٦/ ٥٢٤، والحاشية ٦/ ٣٦٢.

(٣) من قوله: وقال هشام... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٤) من قوله: وحكى ابن سعد... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٢.

من قريشٍ إذ قيل لنا: إن محمداً قد أنكح ابنتَه رُقيَّةَ عُتبة بن أبي لهب ـ وكانت رُقيَّةُ ذات جمالٍ رائعٍ.

قال عثمان: فدخلَتْني الحَسرةُ لمَ لا أكونُ سبقتُه إليها! قال: فلم ألبث أن انصرفتُ إلى منزلي، فأصبتُ خالتي سُعدى بنت كُرَيْز قاعدةً، وكانت قد طَرَقَتْ وتكَهَّنتْ عند قومها، فلما رأتني قالت: [من الرجز]

أَبشِرْ وحُيِّيتَ ثلاثاً تَتْرى
ثم ثلاثاً وثلاثاً أُخرى
ثم بأُخرى كي تتمَّ عَشْرا
أتاك خيرٌ ووُقيتَ شَرّا
أُنكِحْتَ والله حَصاناً زَهْرا
وكُنْتَ بِكْراً ولَقِيتَ بِكْرا
وافَيتَها بنتَ عظيمٍ قَدْرا
بنتَ نبيٍّ قد أشادَ ذِكْرا

قال عثمان: فعجبتُ من قولها وقلتُ: يا خالةُ، ما تقولين؟ فقالت: عثمان،

لك الجَمالُ و[لك] اللسان
هذا نبيٌّ معه البُرهان
أرسله المُهَيْمِنُ الدَّيَّان
وجاءه جبريلُ بالفرقان
فاتْبَعْه لا تَغْتَالُك الأَوْثان

قال: فقلتُ: يا خالةُ، إنَّك تَذكُرين رجلاً أو شيئاً ما وقع ببلدنا، فبَيِّنيه لي، فقالت: محمد بن عبد الله، رسولٌ من عند الله، جاء بتنزيلِ الله، يدعو إلى الله، قال: فوقع كلامُها في قلبي، وأتيتُ أبا بكرٍ فأخبرتُه، فقال: ويحك يا عثمان، أنتَ رجلٌ

حازِمٌ، ما يَخفى عليك الحقُّ من الباطلِ، ما هذه الأوثانُ التي تَعبُدها؟ هل هي إلا حجارةٌ صمٌّ بُكْمٌ، لا تسَمعُ ولا تُبصرُ، ولا تضرُّ ولا تَنفع؟! قال: قلتُ: بلى، قال: فوالله لقد صَدَقَتْ خالتُكَ، هذا رسولُ الله قد بعثه الله إلى خلقه، فهل لك أن تأتيَه فتسمع كلامه؟ فقلت: بلى، فأتيتُ رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عثمان، إني رسول الله إلى خلقه، فأجب الله إلى جَنَّتِهِ»، قال: فواللهِ ما تمالكتُ حين سمعتُ كلامَه أن أسلمتُ، فزوَّجني رسولُ الله رُقيَّةَ ابنته، فقالت خالتي: [من الطويل]:

وأنكَحه المبعوثُ بالحقِّ بنتَه فكان كبَدْرٍ مازجَ الشَّمسَ في الأُفْقِ[1]

وقد ذكر أنه أسلم على يد أبي بكرٍ، وأن أبا بكرٍ كان السببَ في إسلامه.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن إبراهيم التّيمي، عن أبيه قال: لمّا أسلم عثمان أخذه عمُّه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رِباطاً وقال: أترغَبُ عن دين آبائك؟ فقال عثمان: واللهِ لا أدَعُ ديني أبداً، فلما رأى الحكم صَلابتَه في دينه تَركه[2].

فصل في ترجمة الهرمزان

وكان ينبغي أن يُذكر في السنة الماضية، لأن فيها كانت القاضية.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما حين قتل عمر رضوان الله عليه: قد مَررتُ على أبي لُؤلؤة قاتل عمر، ومعه جُفينة والهرمزان وهم نَجِيّ، فلما بَغَتُّهم ثاروا، فسقط من بينهم خَنجرٌ له رأسان ونِصابُه وَسطه، فانظروا ما الخَنجرُ الذي قُتل به عمر؟! فنظروا فوجدوه ذلك الخنجر.

فانطلق عُبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف، فدعا الهرمزان، فلما خرج إليه قال: انطلق معي حتى نَنظُرَ إلى فَرسٍ لي، فانطلق وتأخّر عنه عُبيد الله، حتى إذا صار بين يديه علاه بالسيف، قال عُبيد الله: فلما وَجد حَرَّ السَّيف قال: لا إله إلا الله.

قال عُبيد الله: ودعوتُ جُفَينة، وكان نصرانيّاً من نصارى الحِيرة، وكان ظِئْراً لسعد

(١) تاريخ دمشق (عثمان) ٢٠ـ٢١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٢.

ابن أبي وَقّاص، أقدَمَه المدينة للمِلْحِ الذي بينه وبينه، وكان يُعلّم الكتابة بالمدينة، قال عبيد الله: فلما عَلوتُه بالسيف صَلَّب بين عَينيه.

ثم انطلق عُبيد الله فقتل ابنةً صغيرةً لأبي لُؤلؤة، تَدَّعي الإسلام، وأراد عبيد الله أن لا يَترك سَبْياً بالمدينة يومئذٍ إلا قَتَله، فاجتمع عليه المهاجرون الأَوّلون فنَهَوْه وتوعَّدوه، فقال: والله لأَقتُلَنَّهم وغيرَهم، وعَرَّض ببعض المهاجرين.

فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف، فلما دفع إليه السيف أتاه سعد ابن أبي وقاص، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما برأسِ صاحبه، فتناصَيا حتى حُجز بينهما، ثم أقبل عثمان بن عفان رضوان الله عليه قبل أن يُبايع له في تلك الليالي، حتى واقع عبيدَ الله فتناصيا، وأظلمت الأرضُ يوم قَتل عُبيد الله الهرمزان وجُفَينة وابنةَ أبي لؤلؤة على الناس، ثم حُجز بينه وبين عثمان رضوان الله عليه.

فلما استُخلف كان أوَّل ما قضى فيه أن أحضر عبيد الله، واستشار الصحابةَ فيه، فقال علي رضوان الله عليه: اقتُلْه، فإن اجتماع الهرمزان بجُفينة وأبي لُؤلؤة لا يُوجب قتلَهما؛ لأن السَّبْيَ يأوي بعضُهم إلى بعض، وقال بعض المهاجرين: قُتل عمر بالأمس، ويُقتل ابنه اليوم!؟ أبعد الله جُفينة والهرمزان، وقال عمرو بن العاص: إن الله قد أعفاك من هذا، إن هذا الأمرَ وَقع وليس لك على المسلمين سُلطان، فقال عثمان رضوان الله عليه: أنا وَليُّهم، وقد جعلتُ دِيتهم في مالي.

وقال في ذلك [محمود بن] لَبيد: ما كان عُبيد الله يومئذ إلا كهيئةِ السَّبُعِ الحَرِب، جعل يَعترض العَجمَ بالسيف حتى جلس يومئذ في السّجن، فكنتُ أحسِب لو أن عثمان وَلي سيقتُله؛ لما كنتُ أراه صَنع به، [كان هو] وسعد أشدَّ أصحاب رسول الله ﷺ عليه[1].

وقال زياد بن لَبيد الأنصاري البياضي: [من الطويل]

ألا يـا عُـبـيـدَ الله مـالـك مَـهـرَبٌ ... ولا مَـلـجـأٌ مـن ابـن أرْوى ولا خَـفَـرْ
أصـبـتَ دمـاً والله فـي غـيـر حِـلِّـهِ ... حَـراماً وقـتـلُ الـهُـرمُـزانِ لـه خَـطَـرْ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٩ـ٣٣١.

على غيرِ شيءٍ غير أنْ قال قائلٌ أتَتَّهمون الهُرمُزان على عُمَرْ
فقال سَفِيْهٌ والحوادثُ جَمَّةٌ نعم أتَّهِمْهُ قد أشار وقد أَمَرْ

فشكاه عُبيد الله إلى عثمان رضوان الله عليه، فنَهاه عنه فقال: [من الوافر]:

أبا عَمرٍو عُبيد الله رَهْنٌ فلا تُهوِن بقتلِ الهُرمُزانِ
فإنك إن غَفرتَ الجُرْمَ منه فأسبابُ الخَطا فَرَسا رِهانِ
أتعفو إذ عفوتَ بغير حَقٍّ فمالك بالذي تَحكي يَدانِ[1]

وذكره ابنُ سعدٍ في الطبقةِ الأُولى من التّابعين من أهل المدينة، فقال: الهُرمزان كان من أهلِ فارس، أسلم، وفرض له عمر في ألفَين ألفين.

وقد ذكرنا أنه قَدِمَ على عمر، وأنه امتنع من شُرب الماء، وذكرنا حديثه.

وقد رُوي أنَّ عمرَ سمّى الهُرْمُزان عُرْفُطة.

وقال المِسْوَر بن مَخْرَمة: رأيتُ الهُرْمُزان بالرَّوْحاء مُهِلاً بالحجِّ مع عمر، عليه حُلَّةٌ حِبَرَة[2].

فصل: وفي المحرَّم من هذه السنةِ أصابَ الناسَ رُعافٌ شديدٌ، فسُمّيَ عامَ الرُّعافِ، وأخذ منه عثمانُ بحَظٍّ وافرٍ، وتطيَّر الناسُ منه وقالوا: افتتح عثمان خِلافتَه بدَمٍ، ثم كان عاقبةُ ذلك أن خَتَم خلافتَه بالدمِ.

وفيها منع عثمانُ الناس من اللعب بالحَمام، والرَّمي بالجُلاهِقات، قال عمرو بن شُعيب: وعثمانُ أوَّلُ مَن منع الحَمام الطيَّارَ، والرَّميَ بالجُلاهقاتِ حين ظهرت بالمدينةِ.

وردَّ عمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينةِ، قال سيف: وكان رسولُ اللهِ قد نفاه، ولم يردَّه أبو بكرٍ ولا عمرُ، فردَّه عثمان إلى المدينةِ، فكان أوَّلَ ما نَقَم الناسُ عليه، وسنذكره في ترجمتِهِ.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٣٩ـ٢٤٠ ، ومن قوله: وقال عبد الرحمن بن أبي بكر (في أول ترجمة الهرمزان)... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٩٢ .

وفيها استقضى عثمان زيد بن ثابت، ورزقه على ذلك ستين درهماً.

وفيها ولّى عثمان سعد بن أبي وقاصٍ على الكوفة بوصيَّةِ عمر.

وقال الواقدي: كان عمرُ قد أوصى أن يُقَرَّ عُمَّالُه على ولاياتهم سنةً، فأمضى وَصيَّتَه، فلم يَعزِل له عامِلاً حتى مضتِ السنةُ، فأقرَّ المغيرةَ بنَ شعبةَ على الكوفةِ سنةً ثم عزله وولّى سعد بن أبي وقاص ـ وهو أول عامل استعمله ـ ثم عزله، واستعمل الوليد ابن عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، وكان الوليد أخا عثمان لأُمِّه، قال الواقدي: وهذه الأخذة الثانية التي نَقمها الناسُ على عثمان، وقالوا لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أما أخذتَ عليه العهد أن لا يَرفع أحداً من بني أمية على الناس؟ قال: بلى.

وفيها زاد الناسَ في العطاء مئةً مئةً، وأقام الضِّيافةَ لأبناء السبيل والمتعبِّدين في المسجد.

وفيها أغزى أخاه الوليد بنَ عُقبة أَرْمينيَة وأذرَبيجان، وسببُها أن أهلها طَمعوا بموت عمر رضوان الله عليه، وامتنعوا من أداء ما كانوا يُؤدُّونه إليه، وكان بالكوفة أربعون ألف مُقاتل برسم الجهاد في مقابلة الرّي وأذربيجان، وكان قد صالحهم حُذيفة سنة اثنتين وعشرين على ثمان مئة ألف درهم، فلما امتنعوا بعد موت عمر رضوان الله عليه سار إليهم الوليد بن عقبة، وقَدّم في مُقدّمته عبد الله بن شُبيل الأحمسي، فشنّ الغارات، ثم اتبعه سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفاً، ثم تبعه الوليد في أربعين ألفاً، وقيل: في عشرين ألفاً، واستُشهد في هذه الغزاة عمرو بن عُتبة[1].

وفيها جاشت الرُّوم وجمعت جُموعاً عظيمة، وقَصدت الشام، فكتب معاوية إلى عثمان يَستمدُّه، فكتب عثمان إلى الوليد بن عُقبة ـ وقد عاد من المشرق فنزل الموصل ـ بأن يُمدَّ معاوية، فأرسل الوليد سلمان بنَ ربيعة الباهلي في عشرة آلاف، فسار إلى الشام، فاجتمع بجُنْد الشام، وعليهم حبيب بن مَسْلَمة الفِهري، فشنَّ الغارات على الروم، وفتحوا حصوناً كثيرة[2].

---

(١) من قوله: وفيها أغزى أخاه الوليد... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) من قوله: فكتب معاوية إلى عثمان يستمده... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، وانظر تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٧ـ٢٤٨، والمنتظم ٤/ ٣٤٥.

[وقيل:] كان عثمان رضوان الله عليه كتب إلى معاوية يَأمره أن يُغزي حبيبَ بن مَسْلَمة أرمينية، فسار إليها، وبلغ حبيباً أن ملك الروم ـ ويقال له: المُوريان الرّومي ـ قد قَصده في ثمانين ألفاً من الرُّوم والتُّرك، فأرسل حبيب إلى معاوية يُخبره، فكتب معاوية إلى عثمان رضوان الله عليه، فأمر عثمان رضوان الله عليه سعيد بنَ العاص أن يُمدَّه، فأمَدّه بسلمان بن ربيعة الباهلي في ستة آلاف، وكان حبيب صاحبَ كَيْد، فأراد أن يكيد الموريان، فقالت له امرأتُه أم عبد الله بنت يزيد الكلبية: أتُبيِّتُهم؟ قال: نعم، وأوَّلُ ما أقصِد سُرادق الموريان، قالت: افعل، فبيِّتَهم، ووصل إلى السُّرادق، فوجد امرأةً قد سبقَتْه إليه، فقتلهم وهزمهم، ووهب لها السُّرادق فضرَبتْه عليها، فهي أولُ امرأة من العرب ضُرب عليها السّرادق، ومات عنها حبيب فتزوجها الضَّحاك بن قيس الفهري، فهي أمُّ ولده[1].

واختلفوا فيمن حجَّ بالناسِ في هذه السنة، فقال أبو مَعشر والواقدي: حجَّ بهم عبد الرحمن بن عوفٍ بأمرِ عثمان، وقال آخرون: حجَّ بهم عثمان، وقال البلاذري: حجَّ بالناسِ في سنة أربعٍ وعشرين عبد الرحمن، وحجَّ عثمان في خلافتِه كلِّها عشرَ سنين إلّا السنةَ التي حُوصِرَ فيها، فإنه بعث عبد الله بن عباس فحجَّ بالناسِ[2].

فصل وفيها توفيت:

أُم أيمن مولاةُ رسولِ الله ﷺ

وقد نسبها الواقدي وقال: اسمُها بَرَكَة بنت ثعلبة بن عَمرو بن حصن، وَرِثَها رسولُ الله ﷺ من أبيه عبد الله بن عبد المطلب وخمسةَ أجمالٍ أَوارِك وقِطْعَةَ غَنَمٍ، وقد ذكرناه في السيرةِ، فأعتقها حين تزوَّج خديجة، وزَوجُها عبيدُ بن زيد، من بني الحارث بن الخزرج، فولدت له أيمن فكنِّيت به، صحب النبيّ ﷺ، ثم قُتل يوم أُحد شهيداً، ثم تزوَّجها زيد بنُ حارثة بعد النبوّة، فولدت له أُسامةَ بنَ زيدٍ.

---

(١) من قوله: وقيل كان عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي... إلى هنا ليس في (ك)، وانظر تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٦٠، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٤٩، وأنساب الأشراف ٥/ ١٢١، والمنتظم ٤/ ٣٤٠.

وكانت سوداء صالحةً، وتُعرفُ أيضاً بأمِّ الظِّباء، هاجرت الهجرتين إلى الحبشةِ والمدينةِ جميعاً.

وكان رسولُ الله ﷺ يقول لها: «يا أُمَّاه، وهذه أُمي بقيَّةُ أهلِ بيتي».

قال الواقدي: ولمّا سمع زيد بنُ حارثة رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن سَرَّه أن يَتزوَّج امرأةً من أَهلِ الجنةِ فليتزوج أُمَّ أيمن»، فتزوَّجها فوَلدت له أُسامة.

وكان رسولُ الله ﷺ يُمازِحُها، قال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن قيس قال: جاءت أُمُّ أيمن إلى النبي ﷺ فقالت: احمِلْني، فقال: «أحملُكِ على وَلَدِ الناقةِ»، فقالت: إنَّه لا يُطيقُني، فقال: «لا أحمِلُك إلّا على ولدِ الناقةِ»، أشار ﷺ إلى الجملِ، والإبلُ كلُّها ولدُ النُّوقِ.

وقال ابن سعد بإسناده عن جَريرِ بن حازم قال: سمعتُ عثمان بنَ القاسم يُحدِّث قال: لما هاجَرَتْ أُمُّ أيمن أَمْسَتْ بالمُنْصَرَفِ دون الرَّوْحاءِ فعَطِشت، فدُلِّي عليها من السماء دلوٌ فيه ماءٌ برِشاء أبيض، فشربت حتى رَوِيَتْ، فكانت تقول: ما عَطِشتُ بعدها، ولقد تعرَّضْتُ للعطشِ بالصومِ في الهواجرِ، فما أعطشُ[1].

وذكر القِصَّةَ أبو نُعيم عن عثمان بن القاسِمِ، وقال إنها[2] خرجت من مكَّةَ ماشِيةً مهاجِرةً إلى الله ورسولِه، وليس معها زادٌ، وهي صائمة في يومٍ شديد الحَرِّ، فأَصابها عطشٌ شديدٌ حتى كادت تموتُ، وهي بالرَّوحاءِ، فلما غابت الشمسُ سمعت على رأسِها حفيفاً، فرفعته فإذا هي بدَلْوٍ من السماء مُدَلّى، وذكره.

وقال الواقدي: كان رسولُ الله ﷺ يزورُها، وكذلك أبو بكر وعمر من بعده.

وقال أبو نُعيم بإسناده عن أنسٍ قال: ذهبتُ مع النبي ﷺ إلى أُمِّ أيمن نزورُها، فقرَّبتْ إليه طعاماً وشراباً، فأبى لأنَّه كان صائماً، فجعلت تُخاصِمه؛ أي: كُلْ، فلما تُوفي رسولُ الله ﷺ قال أبو بكرٍ لعمر: قُمْ بنا، أو مُرَّ بنا إلى أُمِّ أيمن نزورُها كما كان رسولُ الله ﷺ يزورُها، فأتيا إليها، فلما رأتهما بَكتْ، فقالا: ما يُبْكيك؟ فقالت: إني

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٣.

(٢) من قوله: وكان رسول الله ﷺ يمازحها... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والخبر في الحلية ٢/ ٦٧.

لأعلمُ أن رسولَ الله صار إلى خيرٍ مما كان فيه، وإنَّما أبكي خبرَ السماء كيف انقطع عنا، فجعلا يَبكيان معها، فهيَّجَتْهما على البكاء[١].

وقال الواقدي: كانت أُمُّ أيمن عَسِرَةَ اللسانِ، فكانت إذا دخلت على رسولِ الله ﷺ قالت: سلام لا عليكم، فرخَّص لها رسولُ الله أن تقول: سلام، أو السلام.

وقال الواقدي: قالت أُمُّ أيمن يومَ حُنَيْن: سبَّتَ الله أقدامَكم، فقال لها رسولُ اللهِ: «اسكتي يا أُمَّ أيمن، فإنَّك عَسِرَةُ اللسان»[٢].

وروت عمرةُ عن عائشة قالت: شربَ رسولُ اللهِ ﷺ يوماً ماءً وأُم أيمن عنده، فقالت: يا رسول اللهِ، اسقِني، قالت: فقلتُ لها: ألرسولِ الله تَقولين هذا؟ قالت: ما خَدَمتُه أكثرُ، فقال النبي ﷺ: «صدقَتْ» فسقاها.

وقال الواقدي: ولمّا قُتِل عمر بكتْ أُم أيمن وقالت: اليوم وَهَى الإسلام.

واختلفوا في وفاتها، فقال الواقدي: حضرتْ أُمُّ أيمن أُحداً، وكانت تَسقي الماءَ وتُداوي الجَرْحى، وشهدتْ خيبر، وتُوفّيت في أولِ خلافة عثمان، وقيل: تُوفّيتْ بعد رسول اللهِ بخمسة أشهر، والأوَّل أصحُّ[٣].

سراقة بن مالك

ابن جُعْشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تميم بن مُدْلِج بن مُرّة بن عبد مَناة بن كنانة المُدْلِجي، من الطبقة الرابعة ممّن أسلم من قبائل العرب، ورجع إلى بلاد قومه، وكُنيته أبو سفيان، وهو الذي لحق رسول الله ﷺ وأبي بكر رضوان الله عليه في طريق المدينة، وجرى له معهما ما جرى، وله صُحبة ورواية، رحمه الله[٤].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٦٨ .

(٢) من قوله: وقال أبو نعيم بإسناده عن أنس... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والخبر في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٣ـ٢١٤ .

(٣) من قوله: وقال الواقدي لما قتل عمر... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). وانظر في ترجمتها المعارف ١٤٠ ، والاستيعاب (٣٢٢٥)، والمنتظم ٤/ ٣٤٠ ، والسير ٢/ ٢٢٣ ، والإصابة ٤/ ٤٣٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ١٤٨ ، والاستيعاب (١١٠٦)، والمنتظم ٤/ ٣٤١ ، والإصابة ٢/ ١٩ . وترجمة سراقة ليست في (ك).

فصل وفيها توفّي

عثمان بن قيس

بن أبي العاص السَّهْمي، صحابي شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وهو أوَّل من وَلِيَ القضاء بمصر، وكان جواداً شريفاً صاحبَ ضِيافةٍ، وهو أوَّلُ مَن بنى بمصر دار ضيافةٍ للناسِ.

وقال يزيد بن [أبي] حبيب: كتب عمرُ بنُ الخطاب إلى عمرو بن العاص: أن افرِض لمَن قِبَلَك ممَّن بايع تحت الشجرةِ في مئتين من العطاء، وافرِضْ لخارجة بن حُذافةَ في الشرفِ لشجاعته، وافرِضْ لعثمان بن قيس لضيافته[1].

وليس في الصحابةِ مَن اسمُه عثمان بن قيس غيرُه، وله صُحْبةٌ وليس له رِواية.

عمرو بن عُتبة بن فَرْقَد بن حَبيب السُّلَمي

من الطبقة الأولى من التابعين، وأبوه عُتبة من الصحابة، كان يتولى الولايات، وكان يَسألُ ابنَه عمرو أن يُولّيه شيئاً منها فلا يَفعل، زُهداً ووَرعاً، وكان يقول: يا بُنيّ، ألا تُساعدني على ما أنا فيه من العمل؟! فيقول: يا أبه، إنما أَعمل في فِكاك رَقَبتي، فبكى أبوه وقال: يا بني، إني أحبك حُبَّين: حباً لله وحبَّ الوالد للولد، وكان قد أعطاه أبوه سبعين ألفاً فأنفقها في سبيل الله، فلم يُبق منها درهماً.

وقال مولى لعمرو بن عُتبة: رآني عمرو وأنا مع رجل، وهو يقع في آخر، فقال لي: وَيْحك، نَزِّه سَمعَك عن استماع الخَنا، كما تُنزِّه لسانَك عن القول؛ فإن المُستَمع شريكُ القائل، وإنما نظر إلى شرِّ ما في وِعائه فأفرغه في وِعائك، ولو رُدَّت كلمةُ سَفيهٍ في فيه لسَعد بها رادُّها، كما يَشقى بها قائِلُها.

وكان يَخرج على فَرسه ليلاً، فيَقِفُ على القبور فيقول: يا أهلَ القبور، طُويت الصُّحف، ورُفعت الأقلام، ثم يَنزل فيَصِفُّ قدَميه، ويبكي ويُصلّي، حتى يَطلع الفجر، ثم يَرجع فيَشهد صلاةَ الصُّبح.

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٥٠٢ ، والمنتظم ٤/ ٣٤١ ، والإصابة ٢/ ٤٦٤ .

وكان يُصلّي يوماً في جبل، فجاء الأسد، فهرب مَن كان عنده، وهو قائم يُصلّي لم يَنصرف، ومضى الأسد، فقيل له: أما تَخافُ الأسد؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخافَ سواه.

استشهد في هذه السنة بأذربيجان.

قال عبد الرحمن بن يزيد: خرجنا في جيشٍ فيهم عمرو بن عُتبة، وعليه جُبّةٌ بيضاء جديدة، فقال: ما أحسنَ الدَّمَ يتحدَّرُ على هذه، فأصابه حَجرٌ فتحدَّر الدَّمُ عليها، فمات فدفَنّاه.

وقال ابن عمٍّ لعمرو بن عُتبة: نَزلْنا في مَرْجٍ حَسَنٍ، فقال عمرو: ما أحسن لو أن مُنادياً يُنادي: يا خيلَ الله اركبي، فنادى المنادي، فخرج عمرو في سَرَعان الناس، فأُخبِر أبوه ـ وكان على الناس ـ فقال: عليَّ عَمْراً، فأرسل في طَلبه، فما أُدرك حتى أُصيب، فما أُراه دُفن إلا في مَرْكز رُمحه، رحمه الله تعالى[1].

فصل وفيها تُوفّيت

أمُّ الفضل

وهي لُبابَةُ الكُبرى بنتُ الحارث بن حَزْن بن البُجَيْر بن الهُزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله ابن هلال بن عامر بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر، وأُمُّها هند، وهي خولةُ بنت عَوْف بن زهير بن الحارث.

وكانت أُمُّ الفضل أوَّلَ امرأةٍ أسلمت بمكَّةَ بعد خديجة بنت خُويلد، وكان رسولُ الله ﷺ يَزورُها، ويَقيلُ في بيتِها.

قال: وأخوات أُمِّ الفضل: مَيمونةُ بنت الحارث بن حَزْن، زوجةُ رسول الله، وهي لأبيها وأُمِّها، ولُبابةُ الصُّغرى، وهي العَصْماء بنت الحارث بن حَزْن، وهي أُمُّ خالد بن الوليد، [وكانت أختها] لأبيها[2]. [فتزوج أم الفضل العباسُ بن عبد المطلب]، فولدت

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٥٥ـ١٥٨ ، والمنتظم ٤/ ٣٤٩ـ٣٥١ في وفيات سنة خمس وعشرين.

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٣. وذكر لها أخوات أخر.

للعباس: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومَعْبداً، وقُثم، وعبد الرحمن، وأمَّ حبيب، فقال عبد الله بن يزيد الهلالي: [من الرجز]:

ما وَلدتْ نَجيبةٌ من فَحْلِ
كسِتَّةٍ من بطنِ أمِّ الفَضْل
أكرِمْ بها من كَهْلَةٍ وكَهْلِ
عمِّ النبيِّ المصطفى ذي الفضلِ
وخاتم الرسْلِ وخيرِ الرُّسْلِ[1]

وحكى ابن سعد عن الواقدي أن أُمَّ الفَضْلِ كانت تصومُ الاثنين والخميس، وحكى الواقدي أنَّها هاجرت إلى المدينة بعد إسلامِ العباس.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن الأَجْلح قال: سمعتُ زيد بنَ علي بن حُسين يقول: ما وضَعَ رسولُ الله ﷺ رأسَه في حِجْرِ امرأةٍ لا تَحِلُّ له بعد النُّبوة إلا أُمّ الفضلِ، فإنَّها كانت تُفَلِّيه وتُكحّله، فبينما هي ذات يوم تُكحله إذ قَطرت قَطرةٌ من عَينِها على خَدِّه، فرفع رأسَه إليها وقال: «مالكِ؟» فقالت: إنَّ الله نَعاكَ لنا، فلو أوصيتَ بنا مَن يكونُ بعدك إن كان الأمرُ فينا أو في غيرِنا، فقال: «إنكم مَقْهورون مُستَضعَفون بعدي».

وأُمُّ الفَضْلِ هي التي رأت في المنام كأن عُضْواً من أعضاء النبي ﷺ سقط في بيتِها، فقال لها رسول الله ﷺ: «تَلِدُ فاطمةُ غُلاماً، فتُرضعينه بلبن ابنكِ قُثَم» فولدت الحُسين، فكَفِلَتْه أُمُّ الفَضْل وأرضعَتْه، وقد ذكرنا الحديث فيما تقدَّم.

وأُمُّ الفضلِ هي التي بعثتْ إلى النبي ﷺ بقَدَح لبنٍ، وهو واقفٌ بعَرَفةَ على بعيرٍ، فشربه، وقد ذكرناه أيْضاً[2].

(١) من قوله: فولدت للعباس... إلى هنا ليس في (ك)، ومن هنا إلى نهاية ترجمة أم الفضل، ليس في (خ) و(ع).

(٢) وانظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٢، والمعارف ١٢١، والاستيعاب (٣٤٤٥)، والمنتظم ٤/ ٣٤٢، والتبيين ٨٤ و١٥٥، والسير ٢/ ٣١٤، والإصابة.